

المحاضرة رقم 03: مفاهيم رئيسية في التحليل النفسي و العلاج التحليلي.

تمهيد:

ترتكز العلاجات التحليلية على مجموعة من الفرضيات و المفاهيم التي وضعتها نظرية التحليل النفسي و تم تعديلها و تنقيحها من طرف نظريات تحليلية لاحقة كثيرة. سنقوم في هذه المحاضرة بتلخيص لأهم هذه المفاهيم و تطبيقاتها النظرية، بداية بمفهوم اللاشعور، النظرة النمائية، التحويل، التحويل المضاد، المقاومة، الحتمية النفسية و الذاتية عند المفحوص.

1- اللاشعور unconscious: لا يزال لحد الآن اللاشعور هو محور التحليل النفسي و العلاج التحليلي، لكن طريقة التعاطي معه تطورت بشكل كبير منذ الكتابات الأولى لفرويد، التي اعتبر فيها أن اللاشعور هو خزان المكبوتات التي تم تحييدها عن الشعور لأنها تؤدي الى الصراع و هدف التحليل النفسي هو محاولة إخراجها الى واجهة الشعور من أجل تحليلها و فهمها.

اصبح لمفهوم اللاشعور حاليا معنى آخر فبفضل تطور العلوم العصبية، أصبح الباحثون يتحدثون عن وجود نشاط عقلي لا شعوري أو ما يسمى بالتمثلات اللاشعورية بدلا من كلمة لاشعور. يقصد بالتمثلات اللاشعورية تخزين المعلومات بشكل مختلف (عما قاله فرويد)، على حسب نوعية المحتويات على مستوى الذاكرة. فالذاكرة التصريحية تحتوي على أفعال أو معرفة عامة أما الذاكرة الإجرائية فتحتوي على القدرات و ذكريات كل نوع منهما يمكن أن تكون ذكريات صريحة أو ضمنية على حسب نوعية استرجاع المعلومات، اما بطريقة شعورية أو لا شعورية، فعند تذكر اسم أستاذك في المرحلة المتوسطة، هو مثال عن ذاكرة تصريحية صريحة، لأنه تم تخزين المعلومات على أساس تركيز الانتباه، أما عندما تستمع لأغنية تدفع بك البكاء بدون أن تعلم لماذا، فهذا ناتج عن ذاكرة تصريحية ضمنية (لاشعورية)، بمعنى آخر فان حدث ما ارتبط بالأغنية، يمكن أن يكون انفصال علائقي فسيبقى مرتبط دائما بهذه الأغنية، لكن العلاقة الحقيقية بين الحدث و الأغنية لا يأتي بشكل عفوي في النفس و انما لا بد من القيام بتحليل علاجي لمعرفة هذا الرابط.

تنص الذاكرة الإجرائية على كيفية الفعل و كيفية الفعل في العلاقة مع الآخر موجودة بشكل مبكر في حياة الفرد و كل واحد لديه طريقته الخاصة الآلية في الدخول في علاقة مع النخر على حسب الخبرات السابقة. ان الذاكرة الإجرائية تكون عامة ضمنية و هي غالبا المسؤولة عن استعمال الميكانيزمات الدفاعية التي تقوم بابعاد الاحاسيس السلبية و ابعادها عن ساحة الشعور. يمكن للذاكرة الإجرائية أن تعمل بطريقة صريحة اذا كان التعبير كله شعوري، فمثلا قد يحس العميل بالغضب اتجاه المعالج و لانه

يخاف من ان التعبير عن غضبه قد يضر علاقته به فانه يقوم بكبت بطريقة شعورية لغضبه و صرفه خارج الشعور. تعمل الذاكرتين التصريحية و الإجرائية بطريقة متداخلة و غالبا ما يصعب التفريق بينهما خلال العلاج التحليلي.

2- وجهة النظر النمائية: أثبتت الدراسات الوراثية و العصبية المعرفية أن الطبع الفطري عند الطفل هو ما يحدد بشكل كبير نوعية علاقاته بوالديه و منه فانه من المبالغة جعل الوالدين هما مصدر مشاكل طفلهما. ان التفاعل بين خصائص الطفل الفطرية و السلوكات الوالدية اتجاهاه هي محور اهتمام النظرية النمائية. يتم النمو عند "فرويد" على أساس المناطق الليبيدية عبر المراحل الفمية، الشرجية، ثم الأوديبية، كما اعتبر الأنا الأعلى هو نتيجة الخروج من المرحلة الأوديبية. ان الخبرات الأولى للذات في علاقته بالموضوع يتم استدخالها من أجل بناء تمثلات حول العلاقات البينشخصية و هذه التمثلات تكون موجود طيلة الحياة. يمكن للتمثلات الداخلية أن تكون مختلفة عن حقيقة الموضوع الخارجي الذي بنيت على أساسه، بحيث أن خيالات الطفل الذاتية يمكن أن تعكس رغبات ذاتية حول العلاقة مع الوالدين و منه فان الخيالات و العلاقات مع الموضوع تتخذ مسارات عصبونية خاصة تختلف الى حد ما عن الخصائص الحقيقية للوجه الخارجي للموضوع.

تطورت وجهة النظر النمائية بفضل أعمال عدة باحثين مثل Klein.M و Winnicott. D اللذان حاولا ادماج نظرية الغرائز لفرويد مع نظرية العلاقة بالموضوع الداخلي، حسبهما فان الدافعية الأولية للطفل هي السعي للحصول على الموضوع وليس اشباع غرائزه منه. حسب Kohut.H (علم النفس الذات) فان الكثير من الأفراد الذين حرموا من الحنان الأمومي في طفولتهم يسبب لهم مشاعر العجز و النقص مما يدفعهم للبحث عن أشخاص آخرين لملأ ذلك الفراغ النفسي. لاحظ Stern. D كذلك أن استجابات الأم الداعمة و الإيجابية هي أساسية في نمو الذات عند الرضيع و في حال غياب هذه الاستجابات تصاب الذات بالتفكك (أي حالة من الضعف النرجسي الشديد).